

أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم

ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما نقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله A :
(أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً) . فصار للحروف في لغتهم والحركات
والهينات أي : الأوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون
ذلك منها إنما ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد
لغاتنا .

فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول وخالطوا
العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليه السمع من المخالفات التي للمتعرّبين والسمع أبو
الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها لجنوحها إليه باعتياد السمع وخشي
أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على
الفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد
يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل : أن الفاعل مرفوع المفعول
منصوب والمبتدأ مرفوع .

ثم رأوا تغير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته (2 / 562)
إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم
فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو .
وأول من كتب فيها : أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة ويقال : بإشارة علي B لأنه رأى
تغير الملكة فأشار عليه بحفظها ففرغ إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة .
ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد
أحوج ما كان الناس إليها لذهاب تلك الملكة من العرب فهذب الصناعة وكمل أبوابها .
وأخذها عنه سيبويه فكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدا ووضع فيها كتابه
المشهور الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده